السنة الثانية تاريخ

د/ صدوقي امحمد المادة: تاريخ عام

المحاضرة الأولى:

أوضاع المغرب الأوسط

أواخر القرن 15م وبداية القرن16

المغرب الأوسط هي الجزائر رغم غموض حدود الإمارات والدويلات التي تعاقبت على حكمها خلال العصور الوسطى، وقد شهدت هذه البلاد أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر تدهورا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وعسكريا، أدى الى تدخل الاسبان بحجة ملاحقة المسلمين المورسكيين في شمال افريقيا.

1 – الأوضاع السياسية والعسكرية

إذا نظرنا إلى تاريخ المغرب الأوسط في تلك الفترة نجده كله قد اتقضى كما وصفه عبد الرحمان الجيلالي بين تناحر المتنافسين سواء مع الدولتين المجاورين لهذا القطر (بني مرين وبني حفص) أو داخل الأسرة الحاكمة نفسها[1].

حيث استسلم أبو عبد الله محمد الثالث (المتوكل على الله) (1462م – 1485م) للحفصيين الذين أحكموا سيطرتهم على الناحية الشرقية وتوسعوا في المناطق الوسطى أين استولوا على مدن مليانة والمدية ودلس[2]

ومن جهة أخرى أصبحت الدولة مطمعا للإسبان الذين استطاعوا استغلال الصراع الدائر بين أبو حمو الثالث (1503م – 1518م) وابن أخيه أبو زيان الثالث (المسعود) فدعموا يحي الثابتي أخ أبو زيان الثالث ضد عمه أبو حمو الثالث، حيث استولى على تنس كما ساعد الإسبان على احتلال المرسى الكبير في ستة 1505م. تبدو دولة بتي زيان خلال هذه الفتر وقد أنهكتها الحروب الداخلية والصراعات المتواصلة سواء بين أبناء البيت الواحد من آل زيان أو مع القبائل الرافضة لسلطتهم مثل قبائل مغرإوة وتوجين وملكيش وحصين مما أدى إلى استنزاف خزينة الدولة في سبيل قمع هذه الثورات[3]

كما عدف المغرب الأوسط (الجزائر) في هذه الفترة ضعفا عسكريا كبيرا مقارنة مع ما بلفته أوروبا في تلك القترة، فدولة بتي زيان لم يكن لها أسطول بحري ولا جيش مجهز من ناحية العدة والعتاد، وكل ما كان لديها هو جيش بري مزود بأسلحة تقليدية

---

[1] عبد الرحمان الجيلاني، تأريخ الجزائر العام، ج2، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1983، ص 197

[2] بجي بوعزيز، مدن تاريخية، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفتون، الجزائر، 1985، ص ص 59-68

[3] بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزبانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 205.

كالسيوف والبغال والجمال...، ويعود ذلك إلى عدم الاستقرار الذي تميزت به دولة بني زيان سواء في ثوراتها المستمرة مع جيرنها أو مع القبائل الثائرة في الداخل وغارات الأسبان على الثغور الساحلية ومؤامراتهم الداخلية.[4]

2 – الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية:

كانت البلاد مشتتة وممزقة ومقسمة إلى قبائل وبطون مختلفة ومتنوعة وموزعة على هذه البلاد، فقد استقل بنو عبد الواد بتلمسان وضواحيها، أما بقية البلاد الوسطي والجنوبية فكانت مقسمة إلى إمارت قبلية عديدة كمشيخة مدينة الجزائر التي حكمها الثعالبة، وإمارة كوكو بجبال القبائل الكبرى وإمارة قلعة بني عباس ببلاد القبائل الصغرى، وامارت أخرى مستقلة كإمارة بني المهلهل وإمارة عائلة بوعكاز بجهات الحضنة ، بالإضافة إلى وجود العديد من القبائل العربية والبرررية، فمن القبائل العربية تجد قبيلة الثعالبة في سهل متيجة وقبيلتي الضحاك وعياد بجهة برج حمزة وقبيلة يزيد وحسين وعطاف وسويد في منطقة الهضاب وبني عبيد الله والمعاقيل في الناحية الغربية، ومن القبائل البربرية توجد زواوة وصنهاجة بجبال جرجرة ومغراوة وتوجين بجبال مليانة والونشريس إضافة إلى قبائل فطين وبني ميزاب في الهضاب والواحات.[5]

كما تواجد المسلمون الاندلسيون وطائفة اليهود الذين ازداد تعدادهم خلال القرن الخامس عشر 15م بفعل سقوط غرناطة ومطاردة الأسبان لهم.

هذا التنوع والتشتت في التركيبة الاجتماعية في ظل غياب سلطة مركزية وإن كانت موجودة اسميا – الدولة الزياتية – جعل البلاد تعيش اختلالا اجتماعيا صاحبه سوء الأحوال الصحية والمعاشية تخربت أثناءه المدن وافتقرت الأرياف، فقد قتل العديد من الرجال يسبب الحروب وترملت النساء وانتشرت اللصوصية والظلم وعمت والأوبئة والمجاعات. مما أدى إلى هجرة العديد من اسكان سواء إلى المغرب الأقصى أو إلى تونس أو إلى البلاد العربية الأخرى، أو إلى المناطق الجبلية أو الداخلية البعيدة عن الصراعات.[6]

وفي المجال الاقتصادي، فقدت بلاد المغرب الأوسط أهميتها التجارية بالبحر الأبيض المتوسط وباعتبارها همزة وصل ما بين السواحل والمناطق الصحراوية بفعل الاكتشافات الجغرافية الأوروبية للطرق والممرات الجديدة، وأدى عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي وغياب الأمن إلى هجرة الفلاحين لأراضيهم وقلة الإنتاج الزرعي وتوقفت الحركة التجارية الداخلية.[7]

الغزو الاسباني للمغرب الأوسط

شرع الاسبان في احتلال بلاد المغرب خاصة الجزائر، لعدة أسباب كما ساعدتها عدة ظروف.

---

[4] ....نفسه...273.

[5] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492 - 1792)، وثائق ودراسات، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر1984، ص 94-95.

[6] كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510 - 1541)، تر جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت، ص6

[7] عبد العزيز الفيلالي، تلعسان في العهد الزياني، ج2، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، 2002، ص 496.

1 – أسباب الغزو الاسباني: تعددت أسباب الغزو الاسباني لبلاد المغرب الأوسط، فمنها ما كان دينيا وسياسيا ومنها ما كان عسكريا واقتصاديا.

أ – الأسباب الدينية:

تتمثل في نشر المسيحية وتنصير المسلمين الأندلسيين خاصة بعد سقوط غرناطة ستة 1492م وتعمير المغرب الأوسط بمن تتنصر من المسلمين واليهود أو إبعادهم عن أرضيهم وملاحقتهم وتجنيب اسبانيا خطرهم[8]، كما أوصدت الملكة إيزبيلا أن تتحقق أمنيتها في فتح إفريقيا وعدم الكف عن القتال في سبيل الدين المسيحي ضد الكفار خاصة بعد أن جاءها جاسوسها فرديناند رإفرإ في ستة 1494 بالتقرير التالي:" إن كل البلاد في حالة يبدو أن الله أراد أن يمنحها لأصحاب الجلالة"[9]. كما ألح الكاردينال أكزمينيس وبارك البابا ألكسندر السادس (بورحيا الشهير) سنة 1494م غزو المغرب الأوسط.

ب – الأسباب السياسية والعسكرية:

وتتمثل في توسيع اسبانيا لحدود مملكتها وتحقيق سيادتها على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط والتي لا تتم إلا باحتلال سواحل المغرب الأوسط وصولا الى إمبراطورية مترامية الأطراف حاولت تزعم العالم المسيحي باستهدافهم للبلاد الاسلامية

سعى الأسبان في البداية إلى إقامة قواعد عسكرية أمامية وعلى شواطئ المغرب الأوسط وفي بقية بلدان شمال إفريقيا للحيلولة دون اتصال الأندلسيين بالمغاربة ومساعدتهم لهم ووضع حد للأضرار التي كانت تلحق بالشواطئ الاسبانية، ويؤمنون خطوط مواصلاتهم بين اسبانيا وايطاليا ويتخذون من تلك القواعد منطلقا لغزو المناطق الداخلية.[10]

ج – الأسباب الاقتصادية:

بعد الكشوفات الجغرافية، سعت اسبانيا إلى القضاء على تجار المسلمين بالسيطرة على المراكز التجارية في شمال إفرقيا، واحتلال المناطق التي كانت أقاليمها تتميز بثروتها الطبيعية والحيوانية خاصة وأن اسبانيا كانت تعيش انهيارا اقتصاديا بسبب اضطهادها للمسلمين واليهود وهجرة أغلبهم إلى دول شمال إفريقيا[11].

2 – الاحتلال الاسباني لسواحل المغرب الأوسط:

تمثلت خطة الأسبان في احتلالهم للمغرب الأوسط السيطرة على سواحله أولا ثم إخضاع المناطق الداخلية مستغلة الأوضاع المختلقة المتهورة التي كان تعيشها تلك البلاد.

---

[8] بحري أحمد، الجزائر في عهد الدايات، دراسة للحياة الاجتماعية إبان الحقبة الشانية، ج1، دار الكفاية، الجزائر، 2013، ص 41.

[9] جون وولف، الجزائر وأوروبا (1500 - 1830)، تر: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 26

[10] بحري أحمد، مرجع سابق، ص 41.

[11] عبد الله جمال الدين، تاريخ المعلمين في الأندلس، (93-897،)، شركة سفير، القاهرة، د ت، ص ص 106 - 107.

ومع بداية القرن السادس عشر كان الإسبان على استعداد لمهاجمة شواطئ المغرب الأوسط، فقد جهز الكاردينال أكزمينيس في ستة 1505 أسطولا يتكون من 134 سفينة على متنها خمسة آلاف جندي تحت قيادة دون دييغو فيرناندیز ، انطلقت هذه الحملة يوم 29 أوت 1505م من ميناء ملقة باتجاه المرسى الكبير الذي وصلته في 11 سبتمبر، ورغم المقاومة العنيفة للمسلمين إلا أن الإسبان استطاعوا احتلال المرسى الكبير بعد حصار دام خمسين يوما ودخلوه في 23 أكتوبر 1505م واتخذوا منه ميناء لإرساء سفنهم[12].

حاول الاسبان الزحف نحو مدينة وهران انطلاقا من المرسى الكبير، إلا أن جيشهم مني بهزيمة نكراء قرب قرية مسرفين في شهر جوان 1507 حيث قتل ثلاثة آلاف جندي اسباني وفر الباقون إلى المرسى الكبير.

ونظر لما تمثله مدينة وهران من موقع استراتيجي جهز الإسبان حملة أخرى بقيادة بيدرو نفارو مكونة من 33 مركبا بحريا و51 زورا صغير تحمل خمسة عشر ألف جندي، وانطلقت نلك الحملة من اسبانيا في 15 ماي 1509 ووصلت إلى وهران في 17 ماي، وتمكن الإسبان من دخولها بعد محاولات يائسة بعد خيانة أحد اليهود يدعى سطور الذي فتح لهم أبوابها، ورغم مقاومة السكان داخل المدينة تمكن الإسبان من السيطرة عليها واحتلالها.[13]

وفي الوقت اللذي عجزت فيه مملكة بني زيان عن رد العدوان الاسباني وحماية سواحل المغرب الأوسط، تطلع الإسبان إلى توسيع نفوذها إلى السواحل الشرقية فاحتلت بجاية التابعة للحفصيين في شهر جانفي 1510م مستغلة الصراع على عرشها ما بين عبد الرحمن الحفصي وابن أخيه عبد الله، حيث تمكن بيدرو نفارو من قيادة حملة مكونة من 14 مركبا على متنها 15 ألف جندي وتمكن بواسطتها من احتلال المدينة بعد المقاومة اليائسة لسكانها[14]

كان لاحتلال المرسى الكبير ووهران ثم بجاية وقع كبير لدى سكان بقية المدن الساحلية الجزائرية التي فضلت الدخول تحت وصاية الإسبان خوفا من الهزيمة والدمار والخراب وذلك عن طريق إمضاء اتفاقيات مع الإسبان يلتزمون فيها بدفع الجزية والاعتراف بالحماية الإسبانية.فقد وقع أعيان مدينة الجزائر برئاسة الشيخ سالم التومي معاهدة الاستسلام يوم 31جانفي 1510مقابل دفع ضريبة باهظة واطلاق كل الأسرى المسيحيين المتواجدين بالمدينة والسماح للإسبان ببناء حصن البنيون (الصخرة) على جزيرة مقابلة لميناء المدينة واقامة حامية عسكرية دائمة به [15].كما دانت لهم مدينة مستغانم في 26ماي 1511م وامضوا معها معاهدة استسلام مقابل دفع ضريبة سنوية والتزامها بتموين حامتي وهران والمرسى الكبير بالغذاء، وكانت مدينة تنس قد خضعت للإسبان في سنة ،1505وخضعت لهم مدن شرشال ودلس وغيرها، في حين كان الجنويون قد احتلوا مدينة جيجل منذ سنة 1260م. إذن مع بداية القرن السادس عشر كانت جل سواحل المغرب الأوسط تحت السيطرة

---

[12] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص ص 96 - 98
[13] عبد الرحمان الجيلالي، ج2، المرجع السابق، ص 203
[14] نفسه، ص 122
[15] كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص ص 21- 22

الإسبانية، وكانت اسبانيا تتأهب للانتقال للمرحلة الثانية ألا وهي التوسع في المناطق الداخلية، غير أن احتلالها ظل مقتصرا على المناطق الساحلية لعدة أسباب لعل أهمها انشغالهم في نفس الوقت بحروبهم في المناطق الأخرى في أوروبا كإيطاليا وغزو العالم الجديد، بالإضافة إلى ظهور المقاومة الجزائرية بقيادة الأخوة بربروس، لكن كل تلك الأحداث كانت تنبئ بقرب زوال مملكة بني زيان وحلول كيان سياسي جديد محلها.

المحاضرة الثانية

1 – جهود الإخوة بربروس في بلاد المغرب

يرجع أول تواجد للأخوة بربروس بشمال إفريقيا إلى استقرار عروج بمصر ودخوله في خدمة سلطانها المملوكي قنصوة الغوري مع بداية القرن السادس عشر الميلادي بعد إعدام الأمير قيود من طرف أخيه السلطان سليم الأول في سنة 1512، وكان عروج مقربا من الأمير قرود فخاف على نفسه من مضايقة السلطان العثماني[16].

أصبح عروج يقوم بعملية الغزو في عرض البحر الأبيض المتوسط فحاز على غنائم كثيرة واستقر ريه على أن يجعل من جزيرة جربة مركزا له، وهناك لحق به أخوه خير الدين، وبعد أن تدارسا مستقبل عملهما في حوض البحر المتوسط توجها إلى سلطان تونس أبو عبد الله محمد الحفصي وقدما له الهدايا ومنحهما مقابل ذلك مكانا يجعلانه مقر لهما ومنطلقا لنشاطهما البحري هو ميناء حلق الوادي مقابل دفعهما الغنائم[17].

ذاع صيت الأخوين بربروس بفعل غاراتهما على السواحل والمدن الأوروبية مثل سردينيا ونابولي وتعرضهما للسفن الأوروبية المحملة بالبضائع والجنود، فازداد تعلق السكان بهما في تونس وتطلع سكان المدن الساحلية بالمغرب الأوسط إلى الاستنجاد بهما لتخليصهم من الاحتلال الاسباني.

2 – تحرير بلاد المغرب الأوسط في عهد عروج:

اتصل أعيان وعلماء مدينة بجاية وأمير قسنطينة أبو بكر الحفصي في سنة 1512 بالأخوين بربروس، فسار عروج نحو المدينة وحاصرها بحرا بينما حاصرها أهلها من ناحية البر، ودام ذلك الحصار مدة 24يوما إلا أن عروج فشل في اقتحام المدينة نظرا لحصانتها وفقد في هذا الحصار ذرعه التي بترت وعاد إلى حلق الوادي. ورغم الخسار إلا أن هذه الموقعة كانت استطلاعية تعرفة من خلالها عروج على جغرافية المنطقة وعلى قدرت الإسبان الحربية، كما تفطن عروج إلى أن تحرير مدينة بجاية يحتاج إلى أن تكون قواته في مكان قريب متها، فحرر مدينة جيجل ستة 1514 من الجنوبيين واتخذها مقر له ومركزا لعملياته الحربية خاصة بعد اشتداد الخلاف بينه وبين السلطان الحفصي بعد غزوه بجاية.[18]

قام عروج خلال تواجده بمدينة جيجل بتجهيز جيشه وتقويته، وتوجه في ستة 1514 إلى مدينة بجاية فحاصرها لمدة ثلاثة أشهر إلا أته فشل من جديد في اقتحامها بسبب وصول النجدات والإمدادات الاسبانية ولحصانة المدينة ومناعتها الطبيعية، فعاد إلى جيجل ورأى أن مواجهة اسبانيا القوية تحتاج إلى الاعتماد على دولة قوية فاتصل بالسلطان سليم الأول وبعث إليه بهدية ثمينة

---

[16] خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد دراج، ط2، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص ص 41 - 47

[17] دراج محمد، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512 - 1543)، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 183

[18] يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر الحديثة، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 12 .

ورسالة، فأمده السلطان سليم بسفينتين مشحونتين بالسلاح والعتاد وأوصى السلطان الحفصي على تقديم العون إلى الأخوين بربروس.[19]

في ستة 1516 أرسل سالم التومي شيخ مدينة الجزائر وفدا إلى عروج يطلب النجدة باسم سكان مدينة الجزائر فاستجاب لهم عروج بعدما لحق به أخوه إسحاق في هذه السنة وسار إلى المدينة واسترجع في طريقه إليها مدينة شرشال ودخل إلى مدينة الجزائر في ستة 1516 واستقبل استقبالا كبيرا وعينه أهلها أمير للجهاد.

باشر عروج عمله محاولا اقتحام حصن البنيون (الصخرة) فقام بقصفه بالمدفعية إلا أنه فشل في ذلك نتيجة ضعف مدفعيته أمام التحصينات الاسبانية القوية مما أدى إلى الاصطدام بينه وبين سالم التومي الذي أعلن تمرده على عروج، غير أن هذا الأخير تمكن من القضاء عليه وباشر عملية تحصين المدينة إدراكا منه أن الأسبان سيحاولون استرجاعها خاصة بعد استنجاد يحي بن سالم التومي بهم.

فعلا جهز الأسبان حملة بقيادة دييفو ديفيرا نزلت في 30سبتمبر1516على شواطئ باب الواد، فهزم الأسبان هزيمة قاسية وانسحبوا في فوضى وتحطم جل أسطولهم، ونتيجة هذا النصر دخل سكان البليدة ومليانة والمدية ودلس وبلاد القبائل وعرب المتيجة في طاعة عروج وتوسع بالتالي نفوذه حتى شمل معظم وسط وشرق المغرب الأوس[20]

استولى بعد ذلك الإخوة بربروس على مدينة تنس في سنة1517وقتلوا أميرها المتعاون مع الأسبان، وقام عروج بعد ذلك بتنظيم المناطق التي دانت له، فقسمها إلى قسمان: قسم شرقي عين عليه أخوه خير الدين وجعل مدينة دلس مقرا له، وقسم غربي مركزه مدينة الجزائر وحكمه بنفسه. استنجد سكان مدينة تلمسان بالإخوة بربروس لتخليصهم من ملكهم أبو حمو الثالث الذي رضي بالهيمنة الإسبانية منذ سنة ،1511فاتجه عروج إلى تلمسان وترك في قلعة بني راشد حامية بقادة أخيه إسحاق لحماية ظهره من الإسبان وهران، ووصل إلى تلمسان ودخلها في سنة 1517بعد أن هزم قوات أبو حمو الثالث الذي فر إلى وهران مستنجدا بالإسبان، أعاد عروج أبو زيان الثالث على عرش تلمسان، إلا أن هذا الأخير سرعان ما انقلب على عروج، فقتله عروج مع الكثير من أسرة بني زيان وتسلم مقاليد السلطة بنفسه[21] بعدما تمكن أبو حمو الثالث من الحصول على الدعم الاسباني في وهران اتجهوا معه إلى قلعة بني راشد وقتلوا حاميتها بما فيهم إسحاق أخ عروج في سنة 1518وساروا إلى تلمسان وحاصروها لمدة ستة أشهر واقتحموها مما اضطر عروج إلى الانسحاب نحو الساحل فلاحقته القوات الاسبانية وقتلته مع بقية رجاله في نفس السنة في منطقة الوادي المالح وقطعوا رأسه وأرسلوا بها إلى اسبانيا وأعادوا أبو حمو الثالث على عرش تلمسان[22].

---

[19] نفسه، ص 12

[20] كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص 33وأحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص .183

[21] محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، مكتبة دار الشرق، بيروت، 26 ، ص197

[22] وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تر: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ،1980ص .34

3- تحرير بلاد المغرب الاوسط من طرف خير الدين بعد استشهاد عروج طلب أعيان مدينة الجزائر من خير الدين قيادة الجهاد، غير أن خير الدين واجه في تلك الظروف مشاكل عديدة فقد ثارت ضده مدن تنس وشرشال والجزائر وبلاد القبائل، بالإضافة إلى التهديد الاسباني كما فقد خير الدين أخويه عروج واسحاق وخيرة المقاتلين، فتبين له أن الصراع الذي يخوضه مع مسلمي شمال إفريقيا ضد الأسبان صراع قوى كبرى، لذلك بعدما قسم الجزائر إلى قسمين شرقي عين عليه أحمد بن القاضي، وشرقي عين عليه محمد بن علي واقترح على سكان مدينة الجزائر اختيار من يحكمهم قرر الرحيل ومغادرة الجزائر، لكن بعدما ألح عليه سكانها في البقاء أشار عليهم بالاعتماد على الدولة العثمانية والدخول في طاعة السلطان سليم الأول لأنه القادر على حمايتهم، فرحبوا بالفكرة وأرسلوا وفدا إلى السلطان سليم يحمل الهدايا ويعلن البيعة، فرحب السلطان سليم بالفكرة وأعلن موافقته على أن تصبح مدينة الجزائر تحت رعايته وحمايته، وعين خير الدين بايلربايا على الجزائر، كما أرسل إلى خير الدين ألفين من الجند الانكشاري وأربعة آلاف متطوع إضافة إلى التجهيزات العسكرية من أسلحة وعتاد بحري، وأصبحت منذ ذلك التاريخ الجزائر تابعة للدولة العثمانية [23]. فزعت إسبانيا لما علمت بانضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية، وكان خير الدين يتوقع ردة فعل الإسبان لذلك قام بالاستعداد الجيد لذلك[24]. وبهذه الانتصارات وسع خير الدين حدود الإيالة الجزائرية في الشرق والوسط والغرب، وجعل مدينة الجزائر عاصمة لها، وبسبب شهرته وانجازاته استدعاه السلطان العثماني سليمان القانوني في سنة 1535 وجعله على رأس الأسطول العثمانية، وخلفه على الجزائر محمد حسن آغا.

4 تحرير بلاد المغرب الاوسط على يد خلفاء خير الدين :

تصدى حسن آغا إلى حملة شارلكان الشهيرة على الجزائر في سنة ،1541واستطاع هزيمة شارلكان الإمبراطور الاسباني مما قضى على أطماع الأسبان في استرجاع مدينة الجزائر نهائيا، ومد حسن آغا نفوذ الإيالة إلى منطقة الزيبان التي أخضعها وجعل على إدارتها علي بوعكاز، ودخل تلمسان سنة 1543 ونصب أبو زيان أحمد الثالث ملكا عليها إلا أن محمد السابع استعادها في السنة الموالية، لكن سحن آغا أرجع أبو زيان أحمد على ملكها من جديد 1554-1550م)[25]. عين حسن بن خير الدين بايلربايا على الجزائر سنة 1544بعد وفاة حسن آغا وعمل على استتباب الأمن وواجه صراعات البيت الزياني والتدخل السعدي في الجهة الغربية، وخلفه صالح رايس في سنة1552 الذي استطاع توسيع سلطة العثمانيين داخل الجزائر وقام بأعمال جليلة حيث ضم سلطنة بني جلاب وبني ورجلان، وتمكن من القضاء النهائي على حكم بني زيان وألحق مملكتهم بالسلطة التركية رأسا في سنة 1554كما تمكن من استعادة السيطرة على مدينة قسنطينة والحاقها بالحكم العثماني في سنة 1555وحرر مدينة بجاية المنيعة والمستعصية من الاحتلال الاسباني في سنة ،1555وحاصر مدينة وهران في سنة 1556 إلا أنه لم يتمكن من اقتحامها وتحريرها[26]

ردود الفعل المحلية والدولية من التواجد العثماني

---

[23] يحي بوعزيز، الموجز، ج ،2 المرجع السابق، ص 15

[24] كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص ص 42- 43.

[25] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 311.

[26] صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514– 1830) دار هومة، الجزائر،2005ص8

1- **ردود الفعل المحلية** :رغم الإحساس المشترك ما بين سكان الجزائر والعثمانيين بواجب الدفاع عن البلاد والدين ضد الخطر الاسباني، إلا أن أصحاب المصالح والنفوذ تمردوا على قيام سلطة الأتراك بالجزائر.

أ ـ موقف سالم التومي وكبار تجار مدينة الجزائر :بعد استنجاد سكان مدينة الجزائر بعروج وقدومه إلى المدينة سنة1516عين أميرا للجهاد وباشر بنفسه سلطة أعمال المدينة، عندها شعر سالم التومي بفقدانه لنفوذه وسلطته على مدينة الجزائر فبدا يحيك المؤامرات ضد عروج، إلا أن عروج تفطن للأمر وغدر بغريمه واستطاع القضاء على هذه المؤامرة في مهدها وقتل سالم التومي وأتباعه[27]. اتجه يحي بن سالم التومي بعد مقتل أبيه إلى وهران مستنجدا بالإسبان فسيروا حملة ضد مدينة الجزائر هدفها الظاهر إعادة يحي بن سالم التومي إلى عرش أبيه إلا أن عروج استطاع أن يلحق بهم الهزيمة. واجه عروج كذلك تمرد كبار تجار مدينة الجزائر الذين دبروا في سنة 1517 مؤامرة ضد عروج وجماعته من الأتراك، فقام بعضهم بإحراق سفن الأتراك وهاجم آخرون رجال عروج المتواجدون داخل المدينة إلا أن عروجا تمكن من القضاء أيضا على هذه المؤامرة فقام بإغلاق باب المسجد على المتآمرين في وقت صلاة الجمعة وقتل اثنان وعشرين من أكبر أغنيائهم وأكثرهم نفوذا وقطع رؤوسهم ورماها في الشوارع[28] .

ب ـ موقف أمير تنس أحميدة العبد

بعد قضاء عروج على تمرد مدينة الجزائر راسل أنصار سالم التومي أمير قلعة تنس مولاي عبد الله الزياني المدعو أحميدة العبد المتحالف مع الأسبان ، فسار على رأس قواته إلى شرق تنس وتقابل مع قوات عروج في نواحي منطقة شلف وهناك دارت بينهما معركة انتصر فيها عروج وفر أمير تنس إلى الجبال[29].

ـ موقف أحمد بن القاضي وقارة حسن:استطاع الحاكم الحفصي أبو عبد الله محمد بن الحسن استمالة أحمد بن القاضي ضد خير الدين، فاستولى على العديد من القرى والمدن وتمكن من هزيمة خير الدين والسيطرة على مدينة الجزائر لمدة خمس سنوات(1520ـ ،1525) وتمكن خير الدين من تجميع صفوفه وتنظيم جيشه انطلاقا من جيجل واتجه إلى مدينة الجزائر وانتزعها من ابن القاضي بعد أن هزمه وشتت أتباعه الذين قام بعضهم بقتل ابن القاضي وحمل رأسه إلى خير الدين دلالة على خضوعهم، وقام خير الدين بإخضاع المناطق التي دانت لابن القاضي [30].

بعد هزيمة ابن القاضي تفرغ خير الدين للقضاء على حسن قارة الذي استقل بشرشال ودخل في تحالف مع الأسبان وابن القاضي، فاستسلم رجاله وتحصن هو مع عدد قليل منهم في إحدى حصون مدينة شرشال، فقتله خير الدين ومن معه واسترجع تنس وشرشال إلى حكمه.

---

[27] كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص 29.
[28] وليام سبنسر-... مرجع سابق ...، ص 33
[29] محمد دراج، المرجع السابق، ص .334
[30] محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 32.

د ـ موقف أمير قلعة بني عباس :كانت قلعة بني عباس تدار من طرف الأمير عبد العزيز الذي كان منافسا لابن القاضي لبسط النفوذ على منطقة القبائل، كما كان ناقما على خير الدين لتحالفه مع ابن القاضي عدوه اللدود خاصة بد أن عينه على القسم الشرقي من الجزائر، ولذلك كان من الطبيعي أن يثور عبد العزيز على خير الدين معلنا تبعيته للحاكم الحفصي وبتحريض منه، غير أن ثورة ابن القاضيوتمرده على خير الدين جعلت عبد العزيز يغير موقفه من خير الدين وسرعان ما أعلن تبعيته له ومساندته في قمع صورة ابن القاضي[31].

هـ ـ موقف ملوك بني زيان:

لم يكن ملوك بني زيان يتبعون سياسة واضحة وثابتة اتجاه الوجود العثمانيبالجزائر، فقد كانت مواقفهم متذبذبة تحركها المصلحة الشخصية المحضة المتمثلة في الوصول إلى العرش أو البقاء فيه، فهم تارة يؤيدون الأتراك إذا كانت مصلحتهم تقتضي ذلك ثم لا يلبثوا أن ينقلبوا عليهم ويتحالفون مع الإسبان. ومن أمثلة تقلب ملوك بني زيان ما بين الولاء للأتراك أو الإسبان أنه لما استقر لعروج الوضع في مدينة الجزائر وضواحيها جاءه وفد من تلمسان لما كان متواجدا بتنس بعد إخضاعها في سنة 1517يشكون أوضاعهم المضطربة ويطلبون منه التدخل بسبب الصراع على العرش ما بين أبو حمو الثالث وأبو زيان الثالث وتهديد الإسبان وتحالف أبو حمو الثالث معهم، فاستجاب عروج لطلبهم وتوجه إلى تلمسان لنجدة أبي زيان الثالث الأمير المسجون، فدخل تلمسان بعد هزيمته لأبي حمو الثالث الذي فر إلى الإسبانوأعاد أبو زيان الثالث إلى عرش تلمسان، غير أن هذا الأخير سرعان ما تآمر على عروج و بدأ في إثارة أهل تلمسان عليه مما دفع عروجا إلى قتله[32]. استنجد أبو حمو الثالث بالإسبان لاسترجاع عرشه فأمدوه بالمدد وتوجهوا معه إلى قلعة بني راشد وقتلوا إسحاق أخ عروج مع حاميته وتوجهوا إلى تلمسان وحاصروها لمدة طويلة وتمكنوا من دخولها وملاحقة عروج وقتله في الوادي المالح، وأعادوا أبو حمو الثالث إلى العرش التلمساني[33]

استعان أبو السرحان المسعود بخير الدين للاستلاء على العرش الزياني في سنة 1519حتى إذا ما تمكن من السلطة انقلب عليه وحالف الأسبان، فما كان من أخيه محمد بن عبد الله الثاني إلا الاستشفاع بأحد العلماء لدى خير الدين طالبا الدعم لاسترجاع ملكه، فقبل خير الدين مساعدته وتم له الظفر بعرش تلمسان بعدما دخلها خير الدين وهزم أبو السرحان المسعود الذي فر من جديد مستنجدا بالأسبان[34] في حين لم يلبث محمد بن عبد الله الثاني أن انقلب على خير الدين بسبب ثورة ابن القاضي وتحالف مع أخ هذا الأخير حسين ابن القاضي ضده. وبالتالي فان المواقف المتذبذبة لملوك بني زيان اتجاه الأتراك كان دافعها المصلحة الشخصية بالدرجة الأولى، ولم يستقر لهم موقف واحد حتى بعد ذهاب خير الدين من الجزائر، حيث لم يكتف محمد بن عبد الله بتحريض حسين بن القاضي على الثورة ضد خير الدين، لكنه بدأ بالتقرب من الأسبان حيث عرض عليهم في سنة 1535أن يكون تابعا لهم وأبدى استعداده أن يقبض على خير الدين بعد هزيمته في تونس أمام شارلكان إذا ما التجأ إليه وأن

---

[31] محمد دراج، المرجع السابق، ص ص 340– 341

[32] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 191.محمد دراج، المرجع السابق، ص ص 342-.

[33] عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السبق،ج ،3ص 44

[34] مؤلف مجهول، غزوات، المصدر السابق، ص .4

يسلمه إليهم، ولم يستقر موقف ملوك بني زيان حتى اضطر صالح رايس إلى القضاء نهائيا على ملكهم في سنة 1554وضمه مباشرة إلى الجزائر.

ـ ردود الفعل الدولية :تمثلت في مواقف الدول المتضررة من التواجد التركي بالجزائر، وهي الدولة الحفصية بتونس والدولة الوطاسية بالمغرب الأقصى والدولة الإسبانية.

أ ـ موقف الدولة الحفصية بتونس :

يعتبر السلطان الحفصي أبو الحسن صاحب الفضل في التمهيد للوجود العثماني بشمال إفريقيا، فقد فتح جزيرة جربة ثم ميناء حلق الوادي للأتراك لاتخاذهما قاعدتين لانطلاق عملياتهم البحرية في البحر الأبيض المتوسط ضد السفن والسواحل الأوروبية خاصة الاسبانية، رغم أن هذا العمل لم يكن عملا بريئا من الأغراض المصلحية الذاتية، فقد كان يجني مكاسب اقتصادية وسياسية وأمنية كبيرة من وراء ذلك حيث كان يأخذ خمس ما يغنمه الأخوين بربروس، ويتلقى هدايا كبيرة تذهب إلى خزانته الخاصة، وكان البحارة الأتراك يبيعون غنائمهم لتجار تونس فانتعشت التجارة وزادت مداخيل الضرائب المفروضة على التجار، كما كان يسعى من وراء دعمه للأتراك الظهور بمظهر المدافع عن السواحل الإسلامية والمنتصر لمسلمي الأندلس وإلى استرجاع هيبته المهتزة في نفوس رعاياه [35].

ب ـ موقف سلاطين المغرب :كان الوطاسيون يعيشون أيام حكمهم الأخيرة في المغرب لذلك حاولوا التزام سياسة محايدة نحو ما يجري بالجزائر وألا يتورطوا في حروب خارج حدود مملكتهم[36] فقد كان البرتغاليون يحتلون المناطق المهمة على السواحل المطلة على المحيط الأطلسي وكان الأسبان يحتلون بعض المناطق الساحلية في شمال المغرب، وكان السعديون يخوضون المقاومة ضد البرتغاليين في الجنوب المغربي وأخذ نشاطهم ذلك يتبلور في شكل حركة سياسية.ورغم سياسة الحياد تلك فان ذلك لم يمنع سلاطين المغرب من إيواء بعض الأمراء الزيانيين الفارين من تلمسان دون أن يقدموا لهم المساعدة، فقد التجأ إليهم أبو حمو الثالث بعد إطاحة عروج به وطلب معونتهم لاسترجاع ملكه، فاستقبلوه لكنهم رفضوا التورط في حرب ضد الجزائر، وبعد استرجاع أبو حمو الثالث لملكه بمساعدة الأسبان لجأ إلي المغرب اثنان من إخوته هما عبد الله ومسعود فبعث السلطان أبو حمو الثالث في طلبهما لكن السلطان المغربي محمد البرتغالي امتنع عن تسليمهما. وسار أبو العباس الوطاسي الذي خلف أباه سنة 1526على نفس النهج في استقبال أمراء الدولة الزيانية وايوائهم دون التورط في أي حركة من حركاتهم أو إمدادهم بأي عون سواء ضد العثمانيين أو الأسبان أو ضد بعضهم بعضا.أما السعديون فبحكم انشغالهم في بداية حكمهم بالتصدي لطرد الاحتلال البرتغالي والاسباني ونزاعهم مع خصومهم الوطاسيين فإنهم وجدوا أنفسهم مضطرين إلى إتباع سياسة الحياد إزاء الدخول العثماني إلى الجزائر.

---

[35] محمد دراج، المرجع السابق، ص .35

[36] عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن 10ه|16م، ج1،دار الأول، الجزائر، 2006، ص83

ج ـ الموقف الاسباني :

كانت اسبانيا من بين الدول الأوروبية الأشد معارضة للوجود العثماني بالجزائر نظرا لقرب الجزائر منها ولطموح اسبانيا في السيطرة على الحوض الغربي للبحر المتوسط وتزعم العالم في هذه المنطقة.كان الإسبان في بداية تواجد الإخوة بربروس بالجزائر يدافعون عن المدن الجزائرية الساحلية التابعة لهم ويقدمون الدعم لسلاطين الدولة الزيانية والمتآمرون على الأتراك مثل سالم التومي وابنه ابن القاضي وحميد العبد ومحمد بن علي، كما قاموا بإرسال بعض الحملات ضد مدينة الجزائر كحملتي سنتي 1516-1519ولكن بعد إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية واسترجاع خير الدين لحصن البنيون ازداد غضب الأسبان واعتبروا التهديد العثماني تهديدا خطير يجب إيقافه، فجهزوا حملة بحرية ضخمة بعد تحالف أوروبي اسباني ـ فرنسي ـ جنوي بقيادة اسبانيا.كانت الحملة بقيادة أندري دوريا قد انطلقت في شهر جويلية سنة 1531من جنوة بايطاليا وكان الأسطول يتكون من أربعين سفينة، وتمكن دوريا من الاستيلاء على ميناء هنين ثم هاجم مدينة شرشال واقتحامها، إلا أن السكان والعثمانيين تمكنوا من إلحاق الهزيمة بجيش دوريا الذي ولى غارا إلى جنوة [37]. أحدثت هذه الهزيمة الذعر لدى الأسبان، فقرر شارلكان الملك الاسباني قيادة حملة بنفسه ضد مدينة الجزائر خاصة بعد استدعاء خير الدين إلى استانبول ظنا منه أن رحيل خير الدين سيسهل عليه احتلال المدينة، وقد بدأ شارلكان استعداداته للحملة منذ احتلاله لتونس وهزيمته لخير الدين في سنة ،1535 ونظرا للأهمية الكبيرة التي أولاها شارلكان لهذه الحملة فقد جمع لها إمكانيات بشرية ومادية ضخمة ساهمت فيها الكنيسة الكاثولكية واستجاب لها نبلاء اسبانيا وايطاليا وألمانيا متطوعين من مختلف البلدان الأوروبية، وتألف أسطول شرلكان من خمسة وستون سفينة حربية وأربعمائة وخمسون سفينة نقل على متنها أربعة وعشرون ألف جندي واثنا عشر ألف بحار[38].

[37] ـ مؤلف مجهول، غزوات، المصدر السابق، ص .72

[38] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص ص 281– 282

المحاضرة الثالثة

التنظيم السياسي والاداري بالجزائر خلال العهد العثماني

بفعل الأحداث والتطورات والتغيرات التي عاشتها الجزائر طيلة الحكم التركي، شهدت الحكومة التركية بالجزائر أربعة أشكال من الأنظمة السياسية انفرد كل واحد منها بمواصفات معينة تختلف عن الأنظمة الأخرى.

أ ـ عهد البايلربايات (1518ـ 1587):

يبدأ هذا العهد بإلحاق الجزائر بالدولة العثمانية في سنة 1518من طرف خير الدين بربرس وينتهي مع علج علي الذي توفي سنة 1587. يعتبر هذا العهد ألمع العصور التركية بالجزائر، كما أنه عاصر فترة السلاطين العظام وعصر القوة العثمانية وفيه تم توطيد الحكم العثماني في الجزائر ووضع أسسه التي سوف يرتكز عليها طيلة الوجود التركي بالجزائر، فقد تم إلحاق تلمسان بالجزائر العثمانية سنة 1554بعد مساجلات مع بقايا الزيانيين والأسبان، كما تم ترسيم الحدود الغربية مع سلطان المغرب في سنة1553 وبقيت هذه الحدود منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا ولم يطرأ عليها إلا تغييرات طفيفة [39] وتمكن الأتراك في هذا العهد من بسط السيادة العثمانية داخل الأراضي الجزائرية فضموا قسنطينة وبجاية والجنوب الشرقي وقاموا بإنقاذ أعداد لا تحصى من الأندلسيين الفارين من الأسبان [40].

كان البايلربايات من رجال كبار البحر الذين يعود الفضل إليهم في تنظيم القوة البحرية الجزائرية والعثمانية وفي تفوقها في البحر الأبيض المتوسط والإشراف على إخضاع باقي شمال إفريقيا للسلطة العثمانية (تونس وطرابلس الغرب).تمكن البايلربايات من أن يجدوا لأنفسهم قاعدة شعبية مما أفضى على عهدهم نوعا من الاستقرار والهدوء، فقد كان تمسكهم بمبدأ تحرير البلاد من بقايا الاحتلال الاسباني قاعدة أساسية قد أكسبهم هالة من الاحترام والتقدير في نظر السكان، ومحاولاتهم التقرب من رجال الصوفية وكسب ولائهم عن طريق منحهم الكثير من الامتيازات بغرض استمالتهم نظرا لشعبيتهم الواسعة [41].وقد جمع الكثير من البايلربايات بين وظيفة البايلرباي ومنصب قبطان باشا قائد الأسطول العثماني كما سيطروا على القوتين الأساسيتان في الجزائر الانكشارية القوات البرية وطائفة رياس البحر القوات البحرية ومن الناحية التنظيمية فإلى عهدهم يرجع تقسيم الجزائر إلى أربع مقاطعات سميت بايلكات على رأس كل منها حاكم يسمى بايا. وبسبب الاستقلالية التي تمتع بها البايلربايات في تسيير الجزائر ومع وفاة علج علي آخر البايلربايات سنة 1587فكرت الدولة العثمانية في تغيير نظام الحكم وارساء نظام جديد يكفل لها الإبقاء على الجزائر خاضعة للأتراك ويمنع البايلربايات من التحرر، فتحولت الجزائر إلى نيابة ولاية يديرها باشا يعين مباشرة من العاصمة العثمانية لمدة ثلاث سنوات.

ب ـ عهد الباشاوات (1587ـ 1659):

---

[39] بحري أحمد، المرجع السابق، ص ص 56– 57.

[40] عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص 111.

[41] هلايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر، 2008،ص 131.

شعر الباب العالي بتحركات البايلربايات بعدما حاولوا الحد من سلطة الانكشارية والاستعاضة عنهم بفرق جيش محلية وخافوا أن يتحول حكمهم المطلق إلى دولة مستقلة عن الدولة العثمانية، فقرر السلطان العثماني مراد الثالث) 1574ـ 1595) تغيير نظام الحكم ولقب الحاكم بالجزائر الذي أصبح يلقب بالباشا وحددوا فترة حكمه بثلاث سنوات[42].أصبحت الجزائر منذ تطبيق هذا النظام ولاية عثمانية عادية ويتولى شؤونها أحد موظفي الدولة يدعى باشا، هؤلاء الباشوات القادمون إلى الجزائر لم يكن لهم أي سند أو أساس محلي بين القوى التي كانت تسيطر على الأوضاع في الجزائر) الطائفة والانكشارية(، فكان همهم جمع الأموال من أجل تعويض ما صرفوه في شراء مناصبهم أو للبقاء فيها، وهو ما خلق الانفصال بينهم وبين الرعية.كانت فترة حكم الباشاوات مليئة بالاضطرابات فقد تدخل في شؤونهم الأوجاق وأصبح الديوان المؤلف من رؤساء الجند يشاركهم السلطة، واتحد الكراغلة مع طائفة الرياس ليزاحموا الأوجاق في الحكم في سنة1629 م لكن هذه المحاولة باءت بالفشل، وفي أواخر عهدهم كثرت الاضطرابات التي كان الأوجاق يقودونها بسبب تأخر دفع جرياتهم وهو ما ساعد الآغوات وهم رؤساء الجند في الأخير على الاستيلاء على الحكم. وشهد عهدهم فترة إجلاء الأندلسيين من شبه الجزيرة الأيبيرية سنة 1609م بعد الطرد الأخير الذي طبقه

الأسبان على من بقي منهم، وقد قدر عدد هؤلاء بأثر من ثلاثمائة ألف، فقام الباشوات باستقبالهم ودمجهم في مختلف المدن الجزائرية. وقد عرفت الجزائر في هذا العهد تداول الكثير من الباشاوات على حكم الجزائر تحدد تعيين بعضهم أكثر من مرة وتعرض الكثير منهم للعزل والسجن على يد الأوجاق وكان عهد معظمهم قصيرا[43]

ج ـ عهد الآغوات (1659ـ 1671):

تمكن قادة الجيش من الاستيلاء على الحكم تدريجيا عن طريق مجلس الديوان المؤلف من رؤسائهم، ويرجع السبب في قيام حكم الآغوات إلى سياسة الباشوات المالية سواء بإثقال كاهل السكان بالضرائب أو بتكليف الطائفة بالإسراف في الغزو البحري خدمة لمصالحهم الخاصة والاستحواذ على تلك العائدات المالية المختلفة، أما السبب المباشر في تجريد الباشا من سلطاته فكان محاولته أن يستوفي العشر من المنح التي كان السلطان يرسلها لمساعدة الأسطول الجزائري مما أثار ردود فعل شديدة أسفرت عن تجريد الباشا من مهامه وتعويضه بأحد الآغوات [44].

يعتبر هذا العهد عهد تسلط الجيش على الحكم، إذ استبدلوا الباشا بآغا أسندوا إليه حكم البلاد وجعلوا مدةحكمه شهرين وحددوا من سلطته وقيدوها بتنفيذ مقررات الديوان لا غير ولم يترك للباشا إلا اللقب الشرفي. وما يميز عهد الآغاوات هو كثرة الفتن واغتيالات الحكام نتيجة عجز هؤلاء عن توفير الأمن والاستقرار والانسجام فيما بينهم حيث كان التنافس على الحكم بينهم شديدا كما أنهم لم يستطيعوا الوقوف أمام قوة الرياس المتزايدة[45] وبسبب حالة الفوضى التي عاشتها الجزائر في عهدهم

---

[42] بحري أحمد، المرجع السابق، ص .59

[43] هلايلي حنيفي، المرجع السابق، ص .133

[44] Mouloud Gaid, L'Algérie sous la domination turque, maison tunisienne de l'édition, Tunis, 1975 , P 132.

[45] ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني) 1792– ،1830)المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ،1984ص.24

تدخل رجال الطائفة لانتزاع السلطة من الجيش وأنهوا عهد الآغوات سنة 1671م [46]وفرضوا أحد زعمائهم حاكما على الجزائر

د ـ عهد الدايات (1671. 1830):

يعتبر هذا العهد آخر عهود التواجد العثماني بالجزائر وبانتهائه تعرضت الجزائر للاستعمار الفرنسي، كما يعتبر أطول العهود على الإطلاق إذ دام أزيد من قرن ونصف وهو ما يمثل نصف مدة الوجود العثماني بالجزائر. تسلم الدايات السلطة بعد سيطرة زعماء الطائفة على الحكم وحلت محل الآغوات في سنة 1671م واستمر انتخاب الدايات من قبل رجال الطائفة إلى سنة 1689م وتداول في هذه الفترة على الحكم أربع دايات من الطائفة، وفي عهدهم نشطت البحرية الجزائرية وعملوا على تقليص نفوذ الديوان، كما حاولوا تجنب أخطاءالآغوات في إقرار مبدأ عدم تحديد فترات الحكم حيث أصبح الداي ينتخب لمدى الحياة لكنه ليس له حق تعيين من يخلفه[47].وعمل الدايات على رفض قبول الباشوات كممثلين للسلطان بالجزائر منذ سنة 1711م رغم أن سلطة هؤلاء كانت سلطة شرفية منذ عهد الآغاوات، إلا أن وجود هذه الازدواجية في هرم السلطة لم تكن تروق لهم، وهو ما يؤرخ لبداية ضعف الصلات ما بين الجزائر والدولة العثمانية ، وتعزيز سلطة الداي الذي أصبح يحمل أيضا لقب الباشا منذ ذلك التاريخ (1711م)رجحت كفة طبقة الأوجاق الذين استعادوا نفوذهم وأصبح الداي ينتخب من بين ضباط الانكشارية ابتداء من سنة ،1689وتمثلت الروابط مع الدولة العثمانية في هذا العهد في إرسال الداي بعض الترضيات من هدايا وأموال بشكل غير منتظم إلى السلطان والدعاء له على منابر المساجد والمشاركة في بعض حروبه ضد الدول الأوروبية أما ماعدا ذلك من مظاهر السيادة فقد استأثرت بها حكومة الداي [48].لم يكن الدايات على درجة واحدة من الكفاءة والنزاهة، فكان منهم النزيه والزاهد في متاع الدنيا المنصرف إلى الأعمال الخيرية والذي صرف من أمواله الخاصة مثل الداي محمد بن عثمان 1766-م ـ1791 م الذي قام ببناء المساجد والحصون والقلاع وترك ما تبقى من أمواله إلى خزينة الدولة [49].

النظام الإداري :ارتبط نظام الحكم بالجزائر بهيئة الموظفين السامين في الدولة نظرا لدورهم فيه وتأثيرهم على مختلف أجهزته ومصالحه والمكانة التي احتلوها في هرم السلطة، فبالإضافة إلى الداي كانت الحكومة تضم بعض الموظفين السامين الذين كانت لهم السلطة المطلقة في تسيير شؤون الإيالة وكانوا يكونون مجلس الحكومة (الديوان الصغير) [50]

1ـ الخزناجي :وهو مختص بالإشراف على الخزينة (المداخيل والمصاريف) والشؤون المالية، وكان الشخصية الثانية المرشحة لتولي منصب الداي في حال شغوره.

2ـ **الأغا** (آغا العرب) وهو القائد العام للجيش للقوات البرية وله السلطة الكاملة على الأوجاق والفرق المساعدة لها، ويعتبر من أهم الموظفين السامين في الدولة.

---

[46] ـ بحري أحمد، المرجع السابق، ص.65

[47] يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص .68

[48] بحري أحمد، المرجع السابق، ص.73

[49] - Grammont, H.D de. Histoire d'Alger sous la domination turque, 1515-1830, Leroux, 1887, pp 369-370

[50] - Grammont, H.D, de, « relations entre la France et la régence d'Alger aux 17 siècle »,R.A, T23, p 12

3ـ **خوجة الخيل** :من صلاحياته إدارة أملاك الدولة في دار السلطان وبالبايليكات ومنها الخيل التي اشتق منها اسمه.
4ـ وكيل الحرج :يراقب النشاط البحري وأعمال الترسانة البحرية وتوزيع غنائم البحر وكل ما له علاقة بالبحر كالجمارك وصناعة السفن وتحصين الأبراج والأسرى ويشرف على الشؤون الخارجية والعلاقات الدولية (وزير البحرية) بالإضافة إلى الديوان الصغير وجد الديوان الكبير الذي كان يضم إضافة إلى الداي كبار الموظفين السامين ومسؤولي الانكشارية والمفتي والقاضي وجميع الكتاب، إلا أن هذا الديوان أصبح وجوده شكليا في عهد الدايات وكان لا يجتمع إلا في بعض المناسبات[51].

التنظيم الإداري بالجزائر خلال العهد العثماني:

كانت الإدارة الجزائرية في العهد العثماني ترتكز على تقسيم إداري يتمثل في أربع أقاليم تسمى بايليكات وذلك منذ عهد البايلربايات، وكان على رأس كل إقليم موظف يحمل لقب باي يعين من طرف الداي، وهذه الأقاليم هي:

أ ـ دار السلطان :لم تكن تسمى بايليك وانما احتفظت بوضع خاص في التسمية ونمط الحكم، وتشمل الجزائر والمناطق المحيطة بها وتمتد من دلس شرقا إلى شرشال غربا ومن ساحل البحر شمالا إلى سفوح الأطلس البليدي جنوبا، وتخضع مباشرة إلى رئيس السلطة التركية بواسطة أغا العرب أو قائد الجيش وتقسم إلى أوطان.

ب ـ بايليك الشرق :يعد أكبر البايليكات مساحة وعاصمته قسنطينة، يحده من الغرب بايليك التيطري ومن الشرق إيالة تونس ومن الشمال ساحل البحر أما من الجنوب فإن حدوده غير ثابتة ولكنها تصل إلى تقرت وورقلة . أنشئ هذا البايليك في سنة 1567م في عهد البايلرباي حسن باشا، وقد حكم الأتراك أغلب نواحيه الجبلية والصحراوية عن طريق رؤساء محليين، فيما بقيت الأراضي الفلاحية الممتدة حول قسنطينة تابعة إلى البايليك مباشرة أو عن طريق قبائل المخزن [52].
ج ـ بايليك الغرب :يحده شرقا بايليك التيطري وشمالا ساحل البحر وغربا المغرب الأقصى وجنوبا ظلت حدوده غير ثابتة، أنشئ في سنة 1563وتغيرت عاصمته أكثر من مرة من مازونة إلى معسكر ثم وهران فمستغانم ثم معسكر وأخيرا وهران بعد تحريرها النهائي في سنة .1792م عرف هذا البايليك بصبغته الحربية بسبب الصراع مع الأسبان المحتلين للمرسى الكبير ووهران وبسبب توتر العلاقات مع حكام المغرب.

د ـ بايليك التيطري :يعد أصغر البايليكات وأفقرها وعاصمته مدينة المدية، أسس سنة 1540م وكان الأكثر ارتباطا بالسلطة المركزية لقرب عاصمته منها، ويحده شمالا دار السلطان ومن الناحية الغربية بايليك الغرب ومن الشرق بايليك الشرق وظلت حدوده الجنوبية غير واضحة مثل بقية البلليليكات[53] مثل الباي السلطة الفعلية على الإقليم وهو المسؤول الأول أمام السلطة المركزية، وكان يتولى تعيين الموظفين المسؤولين وتنصيبهم وتسيير شؤون المقاطعة والإشراف على القوات العسكرية في مقاطعته وجمع الضرائب من الأرياف والسهر على أمن البايليك وله الحق في إصدار العقوبات ضد الأهالي ومصادرة الممتلكات ويتولى

---

[51]- A. Devoulx, recueil de notices historiques sur l’administration de l’ancienne régence d’Alger, imp du gouvernement, Alger, 1852, p 20

[52] ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، المرجع السابق، ص .29

[53] أحمد الشريف الزهار، مذكرات أحمد الشريف الزهار، تح: أحمد توفيق المدني، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ،1980ص.

قيادة الجنود أثناء المعارك [54].وكان البايات مطالبين بالتوجه إلى دار السلطان مرة كل ثلاث سنوات) الدنوش الكبرى(لتسليم عائدات البايليك وتقديم تقارير عن أوضاع المناطق الخاضعة لهم، وكان يتم في نفس الوقت تجديد تعيينهم أو عزلهم.كان يساعد الباي في مهامه مجموعة من الموظفين أهمهم: الخليفة الذي ينوب عن الباي عند الضرورة والخزندار الذي يشرف عن الجانب المالي للبايليك وآغا الدواوير وآغا الزمالة وآغا الصبايحية الذين يشرفون بدورهم على بقية المناطق بمساعدة القبائل، كما كان للباي كاتبان (كاتب السر وكاتب الرسائل) ومسؤولان عسكريان وأربعة شواش[55]

[54] هلايلي حنيفي، المرجع السابق، ص .147
[55] أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص .35

المحاضرة الرابعة

الأوضاع الاجتماعية بالجزائر في العهد العثماني:

انقسم المجتمع الجزائري أثناء العهد العثماني إلى مجموعتين أساسيتين هما سكان المدن الذين كانوا يشكلون نسبة تتروح ما بين 5%و ،10%وسكان الريف الذين يمثلون الأغلبية الساحقة من السكان، وكل مجموعة من المجموعات تتكون من عدة فئات يختلف وضع كل واحدة منها عن الفئات الأخرى من حيث العدد والمكانة الاجتماعية، وبغض النظر إلى الفوارق والامتيازات التي كانت تتمتع بها بعض الفئات فان المجتمع الجزائري لم يكن مجتمعا طبقيا بالمفهوم الذي كان سائدا في أوروبا في العصور الوسطى، وانما تكون المجتمع الجزائري من فئات اجتماعية متعددة متفاوتة نسبيا في المكانة الاجتماعية.

1ـ **سكان المدن** :انقسم مجتمع المدن بالجزائر إلى فئات متعددة حسب المكانة الاجتماعية وحسب الأصول العرقية والجغرافية.

أ ـ جماعة الأتراك العثمانيين :كانت تشكل أقلية في مجتمع المدينة وتتكون في أغلبها من الجنود الأتراك (الانكشارية) واستقروا في مدينة الجزائر خاصة[56]وفي حاميات بعض المدن الكبرى، وقد ظلت هذه الجماعة ضئيلة العدد لم يتجاوز عدد أفرادها في أقصى تقدير اثنا عشر ألف وذلك في الربع الأول من القرن السابع عشر. وترجع قلة العنصر التركي إلى حالة العزوبة التي فرضت على أفراد الجند الانكشاري وعدم تبني أبناءهم الكراغلة وتعرض الكثير منهم إلى الأمراض والأوبئة، أما عزلتهم عن المجتمع الجزائري فعود إلى رغبة الحكام الأتراك في المحافظة على امتيازاتهم وتمسكهم بعاداتهم ولغتهم وأسلوب عيشهم واعتقادهم بأنهم جماعة ممتازة عن باقي العناصر الأخرى [57].واشتغل أفراد هذه الفئة بالعمل في الجيش أو في الوظائف الإدارية أو في تسيير ممتلكاتهم المختلفة من تجارة وأملاك فلاحية.

ب ـ جماعة الكراغلة :هم أبناء الأتراك الذين ولدوا في الجزائر من أمهات جزائريات وظلت في نظر هؤلاء الأتراك نتاجا اجتماعيا أدنى منهم مرتبة بسبب حالة الخوف والارتياب التي ميزت العلاقة بينهما، وقد تكاثر عدد أفراد هذه المجموعة حتى وصلوا إلى عشرين ألف بالجزائر كلها، وتمركزوا بالمدن التي وجدت بها حاميات عسكرية[58] اصطدمت هذه الجماعة بالأتراك في أكثر من مرة(1633 ،1596،1628،) من أجل الحصول على امتيازات آبائهم، لكنهم لم يتمكنوا من ذلك واكتفوا بالحصول على امتيازات أقل من الأتراك مكنتهم من احتلال المرتبة الثانية في الهرم

---

[56] أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519ـ ،1838دار الكتاب العربي، الجزائر ،ص 83 ، ص2009

[57] ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ،1984ص .93

[58] هلايلي حنيفي، المرجع السابق، ص .166

الاجتماعي بالمدن، فأسندت إليهم بعض الوظائف على المستوىالمركزي وأغلب الوظائف على مستوى الإدارة المحلية كما حصلوا على امتيازات مادية من وراء تلك الوظائف [59].

ج ـ جماعة الحضر :تتكون من البلدية وهي العناصر الأولى التي سكنت المدن وترعرعت بها عبر المراحل التاريخية، وتضم أيضا ما انضم إليهم من العناصر الأندلسية والأشراف، وتميزوا بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة وبوضعهم الاجتماعي المتميز، واشتغل أفرادها بالتجارة خاصة والمهن الصناعية وتولي وظائف السلك القضائي والتعليمي، ورغم كثرة عدد أفراد هذه المجموعة نسبيا وامتلاكها لثروات كبيرة إلا أنها لم تلعب دورا سياسيا في الجزائر وذلك لتخوف الأتراك والكراغلة منها [60].

د ـ جماعة البرانية :وتتألف من المجموعات السكانية التي هاجرت إلى المدن الكبرى للإقامة أو العمل، وانتظمت هناك حسب أصولها الجغرافية ومواطنها الأصلية، وتضم المجموعات التالية:

ـ بني ميزاب :بالرغم من الدور الاقتصادي الذي تميزت بأنها انكمشت على نفسها بسبب مذهبها الديني (الإباضية) الذي أختلف عن أهل السنة لذلك لم تندمج في المجتمع الجزائري، وامتهن أفرادها دارة الحمامات وصناعة الخبز التجارة **.[61]**

ـ الأغواطيون والبسكريون :هي عناصر لا تعكس التسمية الأغواطيون والبساكرة(وإنما تظم عناصر متنوعة ومختلفة جاءت من مناطق مختلفة من الجنوب الجزائري من منطقة الأغواط والزيبان ووادي ريغ ووادي سوف وتقرت وطولقا سمنت أهم المدن، وقد اشتغل أفرادها بالمهن الوضيعة كتنظيف الشوارع والسقاية وحفر الآبار وأعمال الحراسة وغيرها [62]..

ـ القبائليون :أطلقت التسمية على كل الذين وفدوا من بلاد القبائل ومن المناطق الجبلية القريبة من المدن، وأطلق عليهم أيضا اسم زواوة، وامتهنوا العمل في دكاكين بيع الزيت والحراسة والاشتغال في بناء السفن والمنازل[63].

ـ **الجيجليون:** يعود استقرارهم بمدينة الجزائر إلى سنة 1516عندا رافقوا عروج إلى هناك، ومنذ ذلك التاريخ حظوا بمكانة خاصة عند الأتراك وتحصلوا على امتيازات هامة، فقد كان لهم دون سواهم من جماعة البرانية الحق في حمل السلاح وارتداء الملابس التركية كما كانوا من الملاك[64]

هـ ـ اليهود :شكلوا أهم العناصر البشرية المهمة في المدن الكبرى وقد تشكلت مجموعتهم من الذين وفدوا على الجزائر في فترات زمنية مختلفة أو من الذين اعتنقوا اليهودية من السكان المحليين، وقد بلغ عددهم في أقصى تقدير في الجزائر كلها ثلاثين ألفا عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر.وقد اندمجوا بالمجتمع الجزائري بسبب ثقة الحكام الأتراك فيهم، ولم يتميزوا عن بقية السكان إلا

---

[59] عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700– ،1830منشورات ،ANEPالجزائر، ،2012ص .26
[60] ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص ص 98– 99
[61] هلايلي حنيفي، المرجع السابق، ص .169
[62] نفسه ص .170
[63] ناصر الدين سعيدوني، الجزائر..، المرجع السابق، ص .101
[64] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص .30

بلباسهم الداكن وعدم ركوبهم الخ ٍيل وحمل السلاح والزامهم بدفع ضريبة الجزية ، وقد اشتغلوا بالتجارة خاصة التجارة الخارجية وصناعة الحلي والعملة.[65]

و ـ الدخلاء :وتضم الأسرى المسيحيين والعبيد (السودان الغربي) وكانوا مسخرين للخدمة في القصور والمنازل والسجون ورعاية البساتين والتجديف في السفن[66] وتضم هذه المجموعة أيضا التجار ورجال الأعمال الأجانب والقناصل الأوربيين ورجال البعثات الدينية ومثلي الشركات التجارية، وكان هؤلاء يعيشون في معزل عن باقي السكان.

2ـ **سكان الريف** :شكل سكان الريف غالبية سكان الجزائر في العهد العثماني، حيث كانت نسبتهم تتراوح ما بين 90%و 95%من مجموع السكان، وقد انقسموا إلى فئات أو مجموعات أو قبائل مختلفة حسب الامتيازات أو القوة أو العلاقة مع السلطة.

أ ـ قبائل المخزن :هي مجموعات سكانية لها صبغة فلاحي ٍة وعسكرية وادارية وذلك لما تقوم به من أعمال وما تؤديه من أدوار.وتستمد وظائفها العسكرية والإدارية عن طريق التبعية والولاء للسلطة الحاكمة وقد استعملها الأتراك نظرا لأهميتها في استتباب الأمن وجمع الضرائب ومعاقبة المتمردين ومقابل ذلك كانت تلك القبائل تحظى ببعض الامتيازات وتنال بعض الحقوق كالتمتع بحماية السلطة والإعفاء من دفع بعض الضرائب والحصول على الأراضي الفلاحية والحصول على المرتبات والتجهيزات العسكرية والمؤونة[67] وقد انتشرت تلك القبائل حول المدن الكبرى وعبر المسلك والطرق الرئيسية وعند الأسواق المهمة والمناطق المهددة سواء من طرف الأسبان أو من طرف القبائل الممتنعة.

ب ـ قبائل الرعية :تتكون من المجموعات السكانية الخاضعة مباشرة لسلطة البايليك وتتحمل عبء النظام الضريبي، وكانت هذه القبائل تقيم في مختلف المناطق التي كانت تحت نفوذ الإدارة المتمثلة في قبائل المخزن والحاميات العسكرية، فكانت بالتالي عرضة للاستغلال المستمر.

ج ـ القبائل المتحالفة :اضطرت الإدارة إلى التحالف مع بعض الزعامات المحلية القائمة على أساس قبلي أو ديني مثل بني جلاب وبوعكاز وبني عباس وأولاد سيدي الشيخ وغيرها، وقد تمتعت هذه القبائل بالحرية في إدارة مناطقها وتعيين حكامها وتحصلت على الهدايا والامتيازات مقابل الاعتراف بالسلطة ودفع الالتزامات الضريبية[68]

د ـ القبائل الممتنعة :وتتألف في أغلبها من القبائل التي كانت تعيش في المناطق الجبلية الحصينة أو التي كانت تجوب الهضاب ومناطق الأطلس الصحراوي وتخوم الصحراء، ونظرا لابتعادها عن نفوذ الحكام وعدم اعترافها بسلطتهم ودفع الضرائب لهم فقد انتهجت الإدارة سياسة خاصة تجاه هؤلاء قصدإجبارهم على مهادنة السلطة والحد من استقلالهم وذلك بمحالفتهم أو تحويلهم

---

[65] هلايلي حنيفي، المرجع السابق، ص .173

[66] ناصر الدين سعيدوني، الجزائر..، المرجع السابق، ص .80-81

[67] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص ص 240– .241

[68] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص .246

إلى قبائل مخزن أو إجبارهم على دفع ضريبة رمزية تعبيرا عن ولائهم للسلطة، ومن أجل ذلك أقامت الحاميات قرب مناطقهم وحاولت التحكم في الأسواق الموسمية والأسبوعية الواقعة بالقرب من مواطنهم أو الالتجاء إلى القوة لتدمير مراكزهم[69].

الأوضاع الاقتصادية بالجزائر في العهد العثماني

1ـ الجانب المالي :اعتمد النظام الجزائري في العهد العثماني على ركزتين هامتين هما الركيزة العسكرية والركيزة المالية، وكانت هذه الأخيرة من اختصاص الخزناجي مما أكسبه أهمية ومكانة مرموقة أهلته لأن يكون الشخصية الثانية في جهاز الدولة، حيث أوكل إليه التصرف في ودائع الخزينة ومراقبة سك العملة وتحديد قيمتها والسهر على مصادر دخل الخزينة ووجوه الإنفاق المختلفة. وقد كانت مصادر الخزينة الجزائرية تتمثل في الموارد التالية: ـ غنائم العمليات الحربية وبالخصوص الجهاد البحري. ـ مساهمة البايليكات الفصلية والسنوية (الدنوش.) ـ ضرائب القطاع الفلاحي وغرامات سكان الأرياف. ـ رسوم سكان المدن وعوائد النقابات المهنية والطائفية [70].هذه الموارد جعلت الأرقام تتضارب حول قيمة محتويات الخزينة الجزائرية، لكن سلطات الاحتلال الفرنسي قدرتها في سنة 1830بخمسين مليون فرنك فرنسي قديم.

2ـ **النظام الضريبي** :أصبح هذا النظام المصدر الرئيسي لدخل الدولة بعد انكماش النشاط البحري وتقلص عوائده منذ أواسط القرن الثامن عشر، وقد تنوعت الضرائب بالجزائر وتعددت من أجل سد حاجيات ونفقات الدولة المختلفة.

فقد كانت هناك عوائد بيت المال التي تألف من مردود الأوقاف والتركات والأملاك الشاغرة التي ليس لها وريث شرعي ومردود الأملاك العقارية المملوكة مباشرة من طرف الدولة، ورسوم النقابات المهنية والدكاكين التجارية التي يتكفل شيخ البلد بجمعها من أمناء النقابات المهنية المختلفة الموجودة بالمدن، ورسوم الطوائف العرقية والأقليات الدينية حيث كان اليهود يدفعون مبالغ مالية عن طريق كبيرهم (المقدم) وكذلك الأندلسيون كانوا يمدون الخزينة بمبالغ مالية ضخمة، وكانت الطوائف السكانية المختلفة بالمدن كانت ملزمة بالمساهمة بعوائد فصلية وسنوية متعارف عليها، ومن المداخيل أيضا رسوم المرسى وحقوق الديوانة (الجمركة) إذ حددت رسوم دخول المرسى بالنسبة للسفن الجزائرية والعثمانية بعشرين قرشا عن كل قارب وأربعين قرشا لسفن الدول المسالمة والمهادنة التي تربطها معاهدات مع الجزائر أما الدول التي هي في حالة نزاع فتدفع سفنها ثمانين قرشا، يضاف إلى ذلك حقوق الديوانة التي تفرض على البضائع المصدرة أو المستوردة وكانت غير قارة وقد تصل إلى 12,5%على المستوردات و 2%على الصادرات،كما تتلقى الخزينة مداخيل استثنائية كالرسوم على بعض الأنشطة المحرمة شرعا والأموال المستخلصة من عمليات التغريم والمصادرة التي يتعرض لها الكثير من الأغنياء والموظفين [71].

---

[69] ناصر الدين سعيدوني، الجزائر...، المرجع السابق، ص ص 109–110.

[70] ناصر الدين سعيدوني، الجزائر...، المرجع السابق، ص 28.

[71] ناصر الدين سعيدوني، الجزائر ...، المرجع السابق، ص ص 31– 35.

3ـ **النشاط الاقتصادي للسكان** :لم يكن للأتراك دور في تطور البنية الاقتصادية للجزائر، فبالرغم من اهتمام بالبحر لم تهتم الدولة بإنشاء موانئ صالحة للتجارة، كما أنهم لم يستثمروا الأموال الضخمة التي كانوا يجنونها في مجال تطوير الاقتصاد المحلي.

أ ـ الزراعة :كانت الزراعة تمثل المورد الرئيسي لمعيشة غالبية سكان الجزائر إلا أنها تميزت بالبساطة والبدائية وهو ما أثر على مردودية الأرض وكميات الإنتاج، وقد شجعت السلطة العثمانية بالجزائر القبائل على استغلال الغابات لتوفير لمادة الأولية لصناعة السفن والتصدير، أما فيما يتعلق بالإنتاج الزراعي فقد اختصت كل منطقة بإنتاج نوع أو أنواع معينة من المحاصيل حسب ظروفها الطبيعية والمناخية، فاشتهرت مناطق معسكر ووهران ومجانة وقسنطينة بإنتاج الحبوب[72] الذي استعمل للاستهلاك المحلي والتصدير، في حين ارتبطت زراعة الأشجار المثمرة بالمناطق الجبلية والسهول المحيطة بالمدن فانتشرت البساتين المنتجة لمختلف الأنواع من الفواكه والخضر ،[73]وكانت أخصب الأراضي ملكا لأفراد الطائفة التركية وجماعة الكراغلة والحضر الموسورين وكان هؤلاء يستعينون بالفلاحين لخدمة بساتينهم مقابل خمس الإنتاج أو يستعملون العبيد والأسرى[74] ورغم تنوع المحاصيل الزراعية فان الفلاحة بالجزائر عانت في أواخر العهد العثماني من عدة مشاكل أعاقت تطورها وازدهارها، فقد كانت التقنيات الفلاحية المستعملة بدائية كوسائل الري وتهيئة الأرض والظروف الطبيعية الصعبة التي كان يعيشها الفلاح حيث كان عرضة للأمراض والفياضانات والمجاعات [75]وأيضا للحملات العسكرية ومهددا من طرف قائل المخزن، وهو ما جعل الكثير من الفلاحين يفضلون تربية المواشي على الاستقرار في الأرض أو الالتجاء إلى الفلاحة المؤقتة وخاصة في المناطق التي انعدم فيها الأمن.

ب ـ الصناعة :عرفت الجزائر في العهد العثماني نشاطا صناعيا شمل أغلب المهن التقليدية والحرف اليدوية التي كانت معروفة في البلاد الإسلامية، فقد كانت المدن الجزائرية تضم العديد من الصناعات التي تتصف بالإتقان والتنظيم، إذ كانت موزعة على العديد من النقابات المهنية [76]. لكن ما يلاحظ هو أن النشاط الصناعي بالمدن قد عرف مرحلة التقهقر منذ أواخر القرن الثامن عشر،حيث انحطت نوعيته وتناقصت كميته وانخفضت أسعار المصنوعات وذلك راجع لعدة أسباب لعل أهمها: ثقل الضرائب المفروضة على الحرفيين وانخفاض مردودهم ومنافسة المصنوعات الأجنبية وجمود النقابات المهنية والاعتماد على العمالة الأجنبية [77]. وقد امتازت الصناعة الجزائرية في العهد العثماني ببعض الخصائص منها: اعتمادها على الموارد الأولية المحلية المتوفرة كالأصواف والجلود والخشب، وخضوعها لتحكم ومراقبة النقابات المهنية، وتوارث بعض العائلات لصناعات معينة واحتكارها لها، إلى جانب كونها صناعة لم تكن موجهة إلى التصدير فاتسمت ببساطتها لتلبي الاستهلاك المحلي واستمدت طرق صنعها ومواصفاتها من تقاليد الماضي البعيد. أما الصناعات التي عرفتها الجزائر فإنها كانت كثيرة ويمكن أن نذكر أهمها: صناعة السفن،

---

[72] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص .309

[73] ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص .32

[74] هلايلي حنيفي، المرجع السابق، ص ص 152– .153

[75] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص .316

[76] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص ص 133– .164

[77] ناصر الدين سعيدوني، الجزائر ...، المرجع السابق، ص ص 61– .64

صناعةالأسلحة، الصناعات التحويلية كمواد البناء وتذويب المعادن وتحويلها إلى مواد مصنعة، الصناعة الغذائية وكانت متنوعة كصناعة الخبز وعصر الزيتون وتجفيف الفواكه والعصائر، وصناعة النسيج والجلود وغيرها [78].

ج ـ التجارة :فيما يتعلق بالتجارة الداخلية فإنها تتوزع على المدن الكبرى والأسواق الأسبوعية والموسمية، فقد برزت مدن تجارية كالجزائر وقسنطينة وتلمسان، وكانت تباع فيها مختلف المواد الصناعية والفلاحية المنتجة محليا والمستوردة من مختلف المناطق كبلاد السودان والدول الإسلامية والأوروبية، وهذا بفضل تنوع الإنتاج المحلي والموقع البلاد الجزائرية [79].

أما التجارة الخارجية فقد تميزت باحتكار الدولة لتجارة المواد الأولية الأساسية كالخشب والقمح وسيطرة اليهود عليها منذ أواخر القرن الثامن عشر بعد إزاحتهم للتجار الفرنسيين والانجليز وحصول الأجانب على امتيازات تجارية مهمة وبالتالي فانه يمكن القول أن السكان المحليين لم يكن لهم باع ودور في التجارة الخارجية. وتتوزع الصادرات والواردات الجزائرية على كثير من البلدان الأوروبية والأقطار الإسلامية والإفريقية، ويلاحظ أن المبادلات مع أقطار المشرق العربي والمغرب وتونس كانت تتعلق بالمواد الترفيهية والحاجات الكمالية، أما مع أقاليم السودان فكانت تتألف من المواد الجزائرية الجاهزة والمحاصيل المدارية الإفريقية[80]

[78] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص .318
[79] هلايلي حنيفي، المرجع السابق، ص .158
[80] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص ص 347– .36